المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية

العدد (206) الجزء (الأول) السنة (57) ربيع الأول 1445 هـ

معاني لفظ: «المس» في القرآن الكريم

- دراسة اصطلاحيَّة سياقيَّة -

The Word "Al-Mass" in the Glorious Qur'ān
- A Contextual Technical Study -

إعداد :

د / فهد سالم محمد رافع الغامدي

أستاذ التفسير المشارك بجامعة الباحة، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدِّراسات الإسلاميَّة

Prepared by :

Dr. Fahad Salem Rafea Alghamdi

Associate Professor of Qur'an Exegesis at the University of Baha, Faculty of Science and Arts, Department of Islamic Studies

Email: Dr.fahdrafi@gmail.com

استلام البحث		اعتماد البحث
A Research Receiving		A Research Approving
2023/01/01		2023/02/06

نشر البحث

A Research publication

2023/09/30

DOI : 10.36046/2323-056-206-005

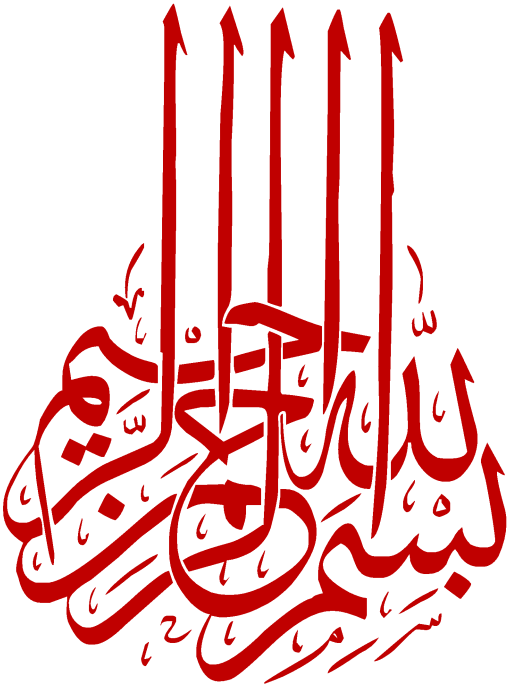
بسم الله الرحمن الرحيم

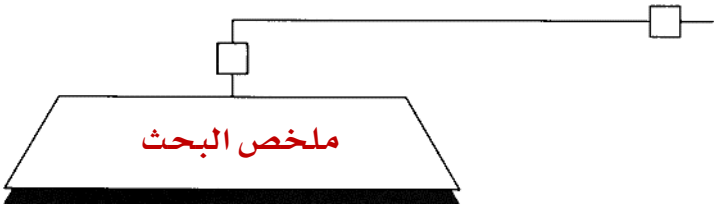

لما للسياقات القرآنية من أهمية في بيان المعاني والهدايات القرآنية، جاء هذا البحث ليعرض معاني لفظ المس في القرآن الكريم دراسة اصطلاحية سياقية، في عشرة مباحث، تضمنت مفهوم المس، واستعمالاته في القرآن الكريم والألفاظ المقاربة له، ولفظ المس في سياق الحديث عن قدرة الله وعظمته ووحدانيته، وفي سياق الحديث عن الرسول ﷺ والمؤمنين، وفي سياق الحديث عن الصالحين والمتقين والمستقيمين، وفي سياق الحديث عن أهل الجنة، وعن مس الكتاب، وفي سياق الحديث عن أحكام المرأة، وبيان حال الإنسان وطبيعته، وفي سياق الحديث عن المعاندين، وفي سياق الحديث عن آكل الربا.

وأظهرت النتائج اشتمال لفظ المس لعدة معانٍ حسية ومعنوية، دالة على سعة معاني اللفظة في اللغة العربية، واستعمال القرآن الكريم للفظة في عدة أساليب متنوعة، ومعان عديدة.

الكلمات المفتاحية: (سياقات – المس – اصطلاحية – موضوعية – دراسة).

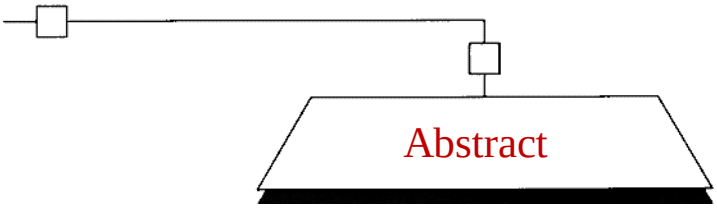

Due to the importance of the Qur'anic contexts in clarifying the Qur'anic meanings and guidance, this research came to present the contexts of the word "Al-Mass" in the Glorious Qur'an, under nine topics which include: the concept of "Al-Mass", its usages in the Glorious Qur'an, the related words, and the word "Al-Mass" in the context of discussing the power, greatness and oneness of Allah, and in the context of the discussion about the Messenger of Allah -peace and blessing upon him- and the believers, and in the context of talking about the righteous, the pious, and the upright ones, and in the context of the discussion about the people of paradise, and the touching of the Qur'an, and in the context of the discussion about the rulings of women, and the clarification of human condition and nature, and in the context of the discussion about the adamant ones, and in the context of the discussion about the consumers of usury.

The findings of the research showed that the word "al-Mass" connotes several sensual and moral meanings that point to the comprehensiveness of words connotations in Arabic language, and the Glorious Qur'an containing several various approaches, and several meanings .

Keywords: (Context - al-mass - technical - topical - study).

المقدِّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

نظرًا لما للفظة العربية من اتساع في المعنى وجمال في اللفظ، عنى السابقون واللاحقون بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وسياقاتها القرآنية، فالقرآن الكريم حجة في ذلك.

ومن تلك الألفاظ التي كثر ورودها في القرآن الكريم لفظ "المس" إذ كان في أكثر من ستين موضعًا، في استعمالاتٍ متنوعة، ومعانٍ عديدة.

وعلى ذلك جاء هذا البحث ليدرس معاني لفظ "المس" في القرآن الكريم دراسة اصطلاحية سياقية، سائلاً الله التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

١–عدم وجود دراسة علمية تعنى بدراسة لفظ المس في القرآن الكريم – بحسب اطلاع الباحث –.

٢–معرفة السياقات القرآنية للفظ المس في القرآن الكريم.

٣–معرفة استعمالات القرآن الكريم للفظ المس.

٤–معرفة معاني لفظ المس في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى معرفة الآتي:

١-معرفة معنى المس في اللغة.

٢-معرفة معنى المس في سياق الآيات القرآنية.

٣-على كم معنى جاء لفظ المس في القرآن الكريم.

٤-الاستعمالات القرآنية للفظ المس.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على دراسة لفظ المس في القرآن الكريم دراسة اصطلاحية سياقية.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي، وختم كل مبحث أو مطلب بخلاصة بيانية.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة علمية موضوعية تعنى بدراسة لفظ المس في القرآن الكريم، وإنما جاءت بعض الدراسات ولم تكن ضمن إطار الدراسة؛ منها:

١-أثر الدلالة المعجمية للفظتي "لمس" و"مس" في توجيه المعنى بين اللغويين والأصوليين: دراسة نظرية تطبيقية، جامعة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، عبد الله عبد الجبار محمد ثابت، العدد ١٧، ٢٠٢٠م، وتطرق الباحث للمفردتين عند اللغويين والأصوليين، وهدف البحث إلى هل الألفاظ في العربية يطابق بعضها بعضًا في المعنى، بحيث يكتفى بأحدهما عن الآخر كما هو الحال في لفظتي (لمس) و (مس)

أم ثمة افتراق بينها ينبغي التنبه له؟ وكذلك هل تناول كل من اللغويين والأصوليين هذه القضية وتنبهوا لها عند استعمالهم الألفاظ كما هو حال هذين اللفظين (لمس) و(مس)؟.

٢-دلائل البيان لمعاني مفردات القرآن "ظلمات"، و" عزيز"، و"مس"، "ونلزم" أنموذجًا، للباحث: محمد علي ناجي المساوي، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية، عدد ٢، ٢٠١٩م، وكان إجمال حديثه عن مفردة مس في ورقة ونصف تقريبًا من كامل البحث، ولم يغط جميع جوانب سياقات الكلمة في القرآن الكريم.

❁ خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، وعشرة مباحث، وخاتمة، وقائمة المراجع.

المقدمة:

وفيها أهمية البحث ومنهجه وحدوده والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول:

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: معنى السياق لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: معنى المس لغة واصطلاحًا.

المطلب الثالث: استعمالات المسّ في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: ألفاظ مقاربة للمس في القرآن الكريم "اللمس"، "الإصابة".

المبحث الثاني: لفظ المس في سياق الحديث عن قدرة الله وعظمته ووحدانيته.

المبحث الثالث: لفظ المس في سياق الحديث عن الرسول ﷺ والمؤمنين.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: لفظ المس في سياق تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين.

المطلب الثاني: لفظ المس في سياق إثبات بشرية الرسول ﷺ.

المطلب الثالث: لفظ المس في سياق الدفاع عن الرسول ﷺ.

المطلب الرابع: لفظ المس في سياق الرحمة بالمؤمنين.

المبحث الرابع: لفظ المس في سياق الحديث عن الأنبياء والصالحين والمتقين والمستقيمين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لفظ المس في سياق الحديث عن الأنبياء.

المطلب الثاني: لفظ المس في سياق الحديث عن الصالحين.

المطلب الثالث: لفظ المس في سياق الحديث عن المتقين والمستقيمين.

المبحث الخامس: لفظ المس في سياق الحديث عن أهل الجنة.

المبحث السادس: لفظ المس في سياق الحديث عن مس الكتاب.

المبحث السابع: لفظ المس في سياق الحديث عن أحكام المرأة.

المبحث الثامن: لفظ المس في سياق بيان حال الإنسان وطبيعته.

المبحث التاسع: لفظ المس في سياق الحديث عن المعاندين.

المبحث العاشر: لفظ المس في سياق الحديث عن آكل الربا.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المراجع.

المبحث الأوَّل:

المطلب الأوَّل: معنى السياق لغة واصطلاحًا

قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء، يقال ساقه يسوقه سَوقاً، والسَّيِّقة:ما استيق من الدوابّ، ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ، والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلك؛ لأنَّ الماشي ينْساق عليها"(١).

فجملة ما يمكن معرفته عن معنى السياق في اللغة تتابع واتصال الأشياء بعضها إثر بعض.

وتباينت أقوال العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ في التعريف الاصطلاحي للسياق، فمنهم من جعل المعنى المراد منه مقصود المتكلم، كما قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: "أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات"(٢).

و"يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). ٣: ١١٧.

(٢) ابن دقيق العيد محمد بن علي بن وهب القشيري. "إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام". تحقيق: محمد حامد الفقي، أحمد محمد شاكر، (مطبعة السنة، ١٣٧٢ – ١٩٥٣). ٢: ١٩.

التالية:

الأولى: أنَّ السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام.

الثانية: أنَّ السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها.

الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام"(١).

وعلى ذلك سيكون السياق في هذا المبحث مرتكزًا على ما يدل على مقصود سابق الكلام ولاحقه باللفظة المرادة، مع ما يشمله من مناسبات وأسباب نزول ونحوها.

المطلب الثاني: معنى المس لغةً واصطلاحًا

جاء في العين(٢) أن المس من مس: مَسِستُ الشيءَ بيَدي مَسّاً، ومِسْتُ، مخفف، ورجل مَمْسُوسٌ من الجُنُون، وبه مَسٌّ، والمَسوسُ من المياه: ما نالته الأيدي.

والرَّحِمُ المَسّاسة والماسَّة: القريبة، ومَسَّتُه مَواسُّ الحَبَل، ويقال: مَسُّ المَرأةِ ومَماسَّتُها إتيانُها.

والمسمسة والمسماس: اختِلاط الأمر واشتِباهه.

---

(١) ردة الله بن ردة الطلحي. "دلالة السياق". رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية (١٤١٨هـ).

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي. "العين". تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م). ٤: ١٤٠.

والماسُّ: الذي لا يلتِفتُ الى موعظةٍ، ورجلٌ ماسٌّ: خَفيفٌ.

وعن الفراء أنه قال: إِنَّه لَحَسَن المَسِّ فِي مَاله، يُرِيد أَنه حَسَن الْأَثر والمَسّ يكون فِي الْخَيْر وَالشَّر: والمَسَّ والمَسِيس: جِماع الرجلِ الْمَرْأَة.

والمَسُوس: الَّذِي يمَسُّ الغُلّة فيَشفيها.

وقيل: الأَسْنُ: لعبة لهم يسمونها المَسّة والضّبَطة(١).

وجاء في اللسان(٢) أن المس هو أول ما يُحَسُّ بِهِ مِنَ التَّعب، والمعاقبة، وماسَّ الشيءُ الشيءَ مُمَاسَّةً ومِساساً: لَقِيَه بِذَاتِهِ.

فالمعاني اللغوية في أصلها تدور على اللمس وجس الشيء باليد(٣)، وتدل على القرب، ثم استعيرت في معان أخرى كالجماع، والجنون كأن الجن مسته.

وجاء التعريف عند المفسرين بأنه: مباشرة الجسم باليد، وهو مرادف اللمس والجس، ويستعار لإصابة جسم جسما آخر (٤).

وحقيقة المس تلاقي جسمين أو شيئين بغير حائل أو فصل(٥).

---

(١) ينظر: محمد بن أحمد بن الأزهري. "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م). ١٢: ٢٢٧- ٢٢٩.

(٢) محمد بن مكرم، ابن منظور. "لسان العرب". (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ). ٦: ٢١٨، مادة مسس.

(٣) ابن فارس، "مقاييس اللغة". ٥: ٢٧١.

(٤) محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور. "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ). ٧: ٢٣٩.

(٥) ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، "التفسير البسيط". تحقيق: جامعة الإمام =

قال أبو حيان: "المس: الإصابة، والمس: الجمع بين الشيئين على نهاية القرب، واللمس: مثله لكن مع الإحساس، وقد يجيء المس مع الإحساس، وحقيقة المس واللمس باليد، ونقل من الإحساس إلى المعاني، مثل: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [سورة ص:٤١]، ﴿ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]، ومنه سمي الجنون مسًا، وقيل: المس واللمس والجس متقارب، إلا أن الجس عام في المحسوسات، والمس فيما يخفى ويدق، كنبض العروق ..."(١).

قال الراغب: والمس يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى(٢)، ولا يقيد بشدة أو بضعف، إنما يرجع في ذلك للقرينة(٣).

ولعل أقرب التعاريف بما يتفق مع هذ البحث أن يقال: المس هو: تلاقي أو تقارب الشيئين ماديًّا أو معنويًّا بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

المطلب الثالث: استعمالات المسّ في القرآن الكريم

جاء لفظ المس في القرآن الكريم في واحد وستين موضعًا على النحو التالي:

❋ ثلاثون موضعًا بصيغة المضارع.

=

محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، (١٤٣٠هـ). ٨: ١٥١.

(١) أبو حيان محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ). ١: ٤٣٦.

(٢) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (الطبعة الأولى، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ). ٢: ٢٧٤.

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٦: ٢٨٤.

❋ تسعة وعشرون موضعًا بصيغة الماضي.

❋ وموضع جيء اسمًا "المس" وآخر على وزن فعال "مساس".

وجاء الاستعمال القرآني لهذا اللفظ على عدة أنواع منها:

١-التهديد والوعيد.

٢-ضرب المثل.

٣-النفي.

٤-الإخبار.

٥-التقرير.

٦-التعجب.

٧-الرجاء والاستعطاف.

وسيأتي مزيد من التفصيل في المباحث اللاحقة - بإذن الله -.

المطلب الرَّابع: ألفاظ مقاربة للمس في القرآن الكريم "اللمس"، "الإصابة"

ظاهر لفظ المس واللمس والإصابة التشابه الكبير فيما بينها، حتى إنَّ بعض أهل العلم لم يرَ في ذلك فرقًا، قال النيسابوري: "ولم يفرق صاحب الكشاف هاهنا بين المس والإصابة وجعل المعنى واحدًا"(١).

وجاء في الفروق بينهما، أن اللمس يكون باليد خاصة؛ ليُعرف اللين من الخشونة، والحرارة من البرودة، والمس باليد وبالحجر وغير ذلك، ولا يقتضي أن يكون

---

(١) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري. "غرائب القرآن ورغائب الفرقان". تحقيق: زكريا عميرات، (الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤١٦هـ). ٢: ٢٤٥.

باليد[١]، فهما يشتركان في غالب الأحيان في استخدام الجارحة "اليد"، والقرب لازمٌ لكليهما، ويمكن حمل كلا اللفظين على وجه من المجاز؛ بتحميلهما معانٍ يقود إليها سياق الاستعمال اللغوي للجمل الواردة فيها كل لفظ من هذه الألفاظ[٢].

وقيل أيضًا: أنَّ المس إيصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة، واللمس كالطلب له[٣]، وقد يقال: أنَّ وجه الاختلاف بينهما يكمن في أن اللمس يقتضي في دلالته المباشرة لذات الملموس؛ سواء كان بحائل أو بدون حائل، أما المس فإنه يقتضي في عين دلالته وحقيقة معناه حقيقة المباشرة لعين الممسوس ماديًّا ومعنويًّا، دون عازل مادي أو معنوي، بل حقيقة يدركها العقل على وجهها المدرك المعروف[٤].

أمَّا الإصابة فهي من الصَّوْب، ويقال أصاب السهم: إذا وصل إلى المرمى بالصواب، واختصت بالنائبة، كقوله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [سورة آل عمران:١٦٥].

كما جاءت في الخير والشر، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ

---

(١) أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري. "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة، مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع،). ٣٠٣.

(٢) عبد الله بن عبدالجبار محمد. "أثر الدلالة المعجمية للفظتي "لمس" و"مس" في توجيه المعنى بين اللغويين والأصوليين: دراسة نظرية تطبيقية". مجلة القلم، ١٧، (٢٠٢٠م). ٢٥٨.

(٣) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ). ١: ٩٠.

(٤) عبد الله، "أثر الدلالة المعجمية". ٢٥٩.

تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [سورة التوبة:٥٠]، وقيل: الإِصَابَةُ في الخير اعتبارًا بالصَّوْبِ، أي: بالمطر، وفي الشّرّ اعتبارًا بإِصَابَةِ السّهم(١).

وعلى ذلك يمكن القول: أن الإصابة أكثر تمكنًا من اللمس والمس.

المبحث الثاني: لفظ المس في سياق الحديث عن قدرة الله وعظمته ووحدانيته

قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة:٧٣].

وقال ﷻ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور:٣٥].

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق:٣٨].

جاء لفظ المس في الموضع الأول في سياق إثبات وحدانية الله ﷻ وتفرده بالعبادة، وبيان شدة العذاب على من أنكر، فأخبر في سباق الآية بكفر من ادعى أنَّ الله هو المسيح ابن مريم - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - وبيّن ﷻ تناقض كلام النصارى، إذ إنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام كان يدعوهم إلى عبادة الله وعدم الإشراك به، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ

(١) الراغب، "المفردات". ٤٩٦.

فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ [سورة المائدة:٧٢]، ثم أكد بكفر أقوال النصارى بأن الله ثالث ثلاثة(١).

فأبطل اعتقادهم، ورده بقوله ﷻ: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة المائدة:٧٣] تأكيدًا لمساس النار بهم، لا كما يظنون، وجاء بالمضارعة كناية عن استمرارهم في غيهم ومكابرتهم، واستمرار العذاب الأليم في الدنيا والآخرة؛ لأنَّ صيغة الفعل المضارع تدل على التكرار والاستمرار والمدوامة.

وجاء الموضع الثاني ببيان نور الله الذي تجلى به ﷻ، وكان به صلاح قلب كل مسلم ومحبة الله ومعرفته والإيمان به.

فهذا النور(٢) ومحله وحامله ومادته كمشكاة أي: كالكوة المعلقة في الحائط فهي مثل الصدر، وفيها زجاجة أصفى من أي زجاج، ومن صفائها شبهت بالكوكب الدري في شدة البياض والصفاء، وذلك كمثل القلب، الذي كان في صفائه ورقته مثل صفاء تلك الزجاجة ورقتها، فيرى الحق ويثبت عليه(٣)، قال السعدي رحمه الله: "ووجه

---

(١) ينظر: عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م). ٢٣٩.

(٢) اختلف المفسرون في عود الضمير في "نوره"، فمنهم من قال: أنه عائد على رسول الله ﷺ، ومنهم من قال: إنه عائد على المؤمنين، ومنهم من قال: إنه عائد على القرآن. ينظر: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ). ٤: ١٨٣.

(٣) ينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية. "تفسير القرآن الكريم". المحقق: مكتب =

هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أنَّ فطرته التي فُطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره"(١).

فجاء لفظ المس في هذه الآية في سياق ضرب المثل في بيان أثر العلم الصحيح والإيمان بالله وبما جاء به النبي ﷺ على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها في سياق المبالغة في صفاء الزيت وأنه لإشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار(٢)، وذلك مثل في وضوح الحجج التي جاء بها النبي ﷺ ولو لم تقرأ(٣).

وجاء الموضع الثالث في سورة ق آية (٣٨) في سياق بيان قدرة الله ﷻ على الخلق وأنه لا يعجزه خلق السموات والأرض، وذلك ردًّا لما قالته اليهود أنَّ الله ﷻ

=

الدراسات والبحوث العربية، (الطبعة: الأولى، بيروت: دار ومكتبة الهلال، -١٤١٠هـ). ٣٩٦.

(١) السعدي، "تفسير السعدي". ٥٨٦.

(٢) أبو حيان، "البحر المحيط". ٨: ٤٤.

(٣) محمد بن أحمد القرطبي. "الجامع لأحكام القرآن الكريم". تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ). ١٢: ٢٦٤.

خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح يوم لسبت(١).

الخلاصة:

جاء لفظ المس في استعمال القرآن الكريم في سياق الحديث عن قدرة الله وعظمته في ثلاث مواطن.

الموطن الأول: في سياق التهديد والوعيد، وجيء بلفظ ليمسن بالمضارعة ولفظ "كفروا" بالفعل الماضي؛ لكون الكفر وقع منهم ابتداءً في سابق الزمن، ولم يكن هناك مناص إلَّا بالانتهاء، والأمر بالانتهاء لا يكون إلَّا في الشيء المستمر، فكان الأنسب أن يكون لفظ "ليمسن" بالمضارعة، وأكد الوعيد بلام القسم في قوله ليمسن ردًّا لاعتقادهم أنهم لا تمسهم النار(٢)، وبيانًا لاستمرار العذاب عليهم في الدنيا والآخرة.

وجاء لفظ المس هنا في الإصابة بجامع الاتصال للدلالة على مطلق الإصابة من غير تقييد بشدة أو ضعف، إنما يرجع في الشدة والضعف إلى القرينة، كقوله ﷻ: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة:٧٣](٣).

قال البيضاوي رحمه الله: "وضعه موضع ليمسنهم تكريراً للشهادة على كفرهم

---

(١) منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني. "تفسير القرآن". تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (الطبعة: الأولى، الرياض، السعودية: دار الوطن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م). ٥: ٢٤٧.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٦: ٢٨٣.

(٣) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٦: ٢٨٤.

وتنبيهاً على أَنَّ العذاب على مَن دام على الكفر ولم ينقلع عنه"(١).

وفي الموطن الثاني: جاء اللفظ في سياق ضرب المثل بتقرير صفاء نور الله ﷻ ووضوحه بحيث يقبله كل قلب على الفطرة، وجملة: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [سورة النور:٣٥] حالية(٢)؛ لبيان حال تلك الفطرة التي شُبهت بالزيت الصافي، ومدى تقبلها لنور الله ﷻ، ولا يُحتاج لأدنى مسة من النار، كناية عن قوة اشتعال نور الله في القلب الصافي من سوء المقصد وسوء الفهم حتى يضيء إضاءة عظيمة.

وجيء بلفظ: ﴿تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [سورة النور:٣٥] دون غيره، فيما يظهر – والله أعلم –؛ لأنَّ حاجة النار مستمرة في الدنيا منذ القدم وهي مصدر الضوء في الظلمة، فأي مس منها ينتج عنه إحراق، فناسب إتيانها على هذا الوجه.

وجاء الموضع الثالث: في سياق نفي التعب عن أدنى الإصابة باللغوب أو الإعياء في جناب الله ﷻ؛ إذ زعم يهود المدينة أنَّ الله ﷻ خلق السموات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فجعلوه راحة، فأكذبهم الله ﷻ في ذلك(٣).

وناسب استعمال اللفظ في الماضي؛ لبيان أنَّ قضية الخلق قضية أزلية، وقد قال ﷻ في ثنايا السورة: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [سورة ق:١٥] أي: أفعيينا بالخلق الأول

---

(١) البيضاوي، "أنوار التنزيل". ٢: ١٣٨.

(٢) أحمد بن يوسف السمين الحلبي. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم). ٨: ٤٠٨.

(٣) القرطبي، "أحكام القرآن". ١٧: ٢٤.

فنعيا بالخلق الثاني(١).

المبحث الثالث: لفظ المس في سياق الحديث عن الرسول ﷺ والمؤمنين

المطلب الأوَّل: لفظ المس في سياق تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين

قال ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢١٤].

وقال ﷻ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة آل عمران:١٢٠].

وقال ﷻ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤٠].

وقال ﷻ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٤].

بيّن ﷻ في الموضع الأول سنته في خلقه، وأنها لا تتغير ولا تتبدل، ومن سار على نهج الأنبياء كان عرضة للابتلاء، ولم يكن هناك مخرج إلا الصبر والثبات حتى يكون الفرج: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢١٤]، قال

(١) السمعاني، "تفسير القرآن". ٥: ٢٣٨.

القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والحال أنه لم يأتكم مثلهم بعد، ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الأحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة، سنة الله التي لا تتبدّل، ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ استئناف وقع جوابًا عما ينساق إليه الذهن، كأنه قيل: كيف كان مثلهم؟ فقيل: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ أي: الشدائد والآلام. ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أي: أزعجوا، ممّا دهمهم من الأهوال والإفزاع، إزعاجا شديدًا شبيهًا بالزلزلة التي تكاد تهدّ الأرض وتدك الجبال، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ أي: انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضجر إلى أن يقول الرسول - وهو أعلم الناس بشؤون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأوثقهم بنصره، وداعيهم إلى الصبر، - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وهم الأثبت بعده، العازمون على الصبر، الموقنون بوعد النصر، ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ استبطاء له، واستطالة لمدّة الشدة والعناء - فيقال لهم: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾"(١).

وجاء السياق في الموضع الثاني مبينًا حال المنافقين والمبغضين للمؤمنين من الكفار، وشدة ما في قلوبهم من العداوة والبغضاء على المؤمنين، وكان ذلك بعد بيان شدة ما يحملونه في قلوبهم على المؤمنين، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران:١١٨]، فهم لا يقصرون في السعي لأسباب الضر بالمؤمنين وحصول المشقة بكل وسيلة، وعلى ذلك جاءت هذه الآية مبينة.

ثم عقب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأنه كافٍ عباده من ذلك في حال الصبر والتقوى، قال

(١) محمد جمال الدين بن محمد سعيد الخلاق القاسمي. "محاسن التأويل". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ). ٢: ٩٧.

البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولما كان هذا أمراً مبكتاً غائظاً مؤلماً داواهم بالإشارة إلى النصر مشروطاً بشرط التقوى والصبر، فقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٢٠] أي: تكونوا من أهل الصبر والتقوى"(١).

وجاءت الموضع الثالث: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤٠] تسلية للنبي ﷺ وما أصابهم يوم أحد من ألم وجراح، وبيان ذلك أنه لا يخلو جيش من النصر تارة والهزيمة تارة؛ ابتلاءً واختبارًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمعنى إن أصابكم ألم وجراح في غزوة أحد، فقد أصاب الكفار يوم بدر ما أصابكم، وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وبنتائج هذا المس من القراح يتمايز الصادق من غيره، والنصر الدائم لا يحقق المقصود من الرسالة؛ إذ النصر الدائم يبعث على عدم ظهور المنافق وانطوائه بين المسلمين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٤٠] فيظهر العلم بذلك رؤية ومشاهدة(٢).

ثم قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٤].

وهذه نتائج الصبر، كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ

---

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي). ٥: ٤٠.

(٢) القاسمي، "محاسن التأويل". ٢: ٤١٧.

شَيْـًٔا﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

خلاصة:

جاء استعمال لفظ المس في تقرير سنة الله في خلقه، وتمكن إصابة المس بالضراء والشدة ابتلاءً واختبارًا لكل من سلك سبيل الأنبياء.

ففي الموضع الأول جيء به إخبارًا وتقريرًا بوقوع تلك السنن في سابق الزمن على من سبق من الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وجيء بلفظ الماضي تحقيقًا لوقوعها، واقتضى المس هنا الإصابة الشديدة والألم بدلالة سياق الآية.

وجاءت المواضع الثلاث في سورة آل عمران تارة ببيان أدنى المس، وتارة بتمكن الإصابة.

ففي الموضع الأول من السورة جاء لفظ المس بأقل تمكن في الإصابة، "وكأنه أقل درجاتها، فكأن الكلام - والله أعلم - إن تصبكم الحسنة أدنى إصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها، وإن تمكنت الإصابة منكم وانتهى الأمر فيها إلى الحد الذي يرثي الشامت عنده منها، فهم لا يرثون لكم ولا ينفكّون عن حسدهم، ولا في هذه الحال، بل يفرحون ويسرون"(١).

وذكر ﷻ لفظ المس في سياق الحسنة ليبين أن أدنى طروء الحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين، ثم عادل ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة وهي عبارة عن التمكن؛ لأنَّ الشيء المصيب لشيء فهو متمكن منه أو فيه، فدل هذا المنزع البليغ على شدة العداوة، إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد، بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين،

(١) المرجع السابق ٢: ٣٩٦.

وهكذا هي عداوة الحسد في الأغلب، ولا سيما في مثل هذا الأمر الجسيم الذي هو ملاك الدنيا والآخرة(١).

وجيء بصيغة المضارع: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾ [سورة آل عمران:١٤٠]، في حين جاء في الموضع الثاني المتعلق بالكافرين بصيغة الماضي: ﴿فَقَدْ مَسَّ﴾ [سورة آل عمران:١٤٠]؛ وذلك لقرب الأول من الحدث وبعد الثاني(٢).

وجاء الموضع الثاني من سورة آل عمران؛ لبيان تمكن إصابة الألم والجراح، وأنه لا يخلو جيش من نصر تارةً وهزيمة تارةً، ويتبين ذلك من خلال السياق في حديث الله ﷻ عن أحداث يوم أحد.

ثم جاء الموضع الثالث في استعمال النفي بأدنى إصابة في قولهم: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [سورة آل عمران:١٧٤]؛ وذلك نتيجة للصبر على الابتلاء.

ويلحظ التدرج في سياق القرآن، بدءًا ببيان شدة البغضاء وما تكنه صدور أعداء الدين على المؤمنين، ودقة اللفظ في أن أدنى مس؛ ينشأ عنه كره شديد، وأن ما يمسكم من شدة وألم وجراح فهو ابتلاء، ينتج عنه في حال التقوى والصبر ما بينه الله في كتابه حيث قال: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٤].

---

(١) ينظر: عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي . "المحرر الوجيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ). ٣: ٣٢٢.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٤: ٩٩.

المطلب الثاني: لفظ المس في سياق إثبات بشرية الرسول ﷺ

قال ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [سورة الأعراف:١٨٨].

جاءت الآية مبينة بشرية النبي ﷺ، ومحدودية علمه أمام علم الله، والتبرؤ من علم الغيب، وبيان حقيقة الرسالة المحمدية، وأنَّ عدم علمه بالغيب لا يطعن في نبوته ورسالته فهي ليست من خصائصه، ومردها إلى الله، وعلى ذلك جاء التوجيه الرباني بقوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الأعراف:١٨٨]، وأنه لو كان بمقدوري ذلك لاستكثرت من الخير.

وجاء السياق بتقديم لفظ النفع على الضر؛ لأنه أحب وأقرب للنفس، فالمقصود "هنا: ما يشمل العلم بالنفع والضر؛ لأنَّ المقام لنفي معرفة الغيب، ولأنَّ العلم بالشيء هو موجب توجه النفس إلى عمله، وقدم النفع في الذكر هنا على الضر؛ لأن النفع أحب إلى الإنسان ... وجعل نفي أن يملك لنفسه نفعًا أو ضرًا مقدمة لنفي العلم بالغيب؛ لأن غاية الناس من التطلع إلى معرفة الغيب هو الإسراع إلى الخيرات المستقبلة بتهيئة أسبابها وتقريبها، وإلى التجنب لمواقع الأضرار، فنفي أن يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا يعمُّ سائر أنواع الملك وسائر أنواع النفع والضر، ومن جملة ذلك العموم ما يكون منه في المستقبل وهو من الغيب"(١).

وفي ذلك بيان بأخذ النبي ﷺ لأسباب النجاة والالتزام بما أمره الله به.

---

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٩: ٢٠٧.

خلاصة:

جاء لفظ المس هنا في استعمالين بناء على قولين لأهل العلم:

الأول: تقرير إصابة النبي ﷺ بما يعتري غيره من البشر من الجوع والفقر وكل ما يسوء بما قدره الله، ويكون الاستثناء متعلق بما قبله.

والثاني: بنفي إصابته ﷺ بأدنى السوء باعتبار أن الاستثناء منقطع، ويكون معنى السوء هنا الجنون بلغة هذيل(١).

وبناء على القول الأول جيء بلفظ الماضي كناية عن حدوثه ووقوعه، وهذا ظاهر لما حدث للنبي ﷺ في حياته.

وبناء على القول الثاني يكون بنفي وقوع المس "الجنون" عليه ﷺ.

وجمال صورة استخدام لفظ المس هنا، أنَّ النبي ﷺ لو كان يعلم الغيب، لما مسه أدنى شيء من السوء، وأطلق كلمة السوء؛ لتشمل كل شيء يدخل تحت هذا المعنى، وهذه دلالة على بشريته.

وعلى المعنى الثاني: يكون بنفي أدنى إصابة جنون للنبي ﷺ.

المطلب الثالث: لفظ المس في سياق الدفاع عن الرسول ﷺ

قال ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام:١٧].

وقال ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:١٠٧].

---

(١) ابن عطية، "المحرر الوجيز".٢: ٤٨٥.

في الموضع الأول: جاء لفظ المس في سياق تقرير حفظ الله ﷻ لنبيه ﷺ، فمهما حاول المشركون إيذاءه، أو عرّضوا له بعزمهم على إصابته بشر، فلن يكون ذلك بقدرتهم أو بأمرهم(١).

والخطاب للنبي ﷺ وهو عام للكل؛ لبيان أن قدرة إيصال الخير ودفع الضر لا تكون إلا بأمر الله وقدرته(٢)، وقدم ﷻ سياق مس الضر على سياق مس الخير إشارة إلى أن كل ضر يعقبه خير وسلامة، وأن إرادة الخير من الله لعبده غالبة على إيصال الضر(٣) وذلك دال على وحدانيته(٤) وكمال قدرته ﷻ.

والموضع الثاني: في سورة يونس، جاء متوافقًا مع الموضع الأول في سياقه، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:١٠٧] فجاءت الآية عطفًا على قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يونس:١٠٦] إبطالاً لعقيدة المشركين، وأنَّ الأصنام لا تشفع عند الله، ولا تنفع.

وقال ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [سورة يونس:١٠٧]، ثم قال: ﴿وَإِن

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٧: ١٦٢.

(٢) علاء الدين علي بن محمد الخازن. "لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح محمد علي شاهين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ). ٢: ١٠٢.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي. "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ). ١٢: ٤٩٥.

(٤) ينظر: السعدي، "تفسير السعدي". ٢٥١.

﴿يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [سورة يونس:١٠٧] للدلالة على إرادة الخير، قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان بأنَّ الخير مراد بالذات، وأنَّ الضر إنما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي، أو أريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير، وأنه لا راد لما يريد منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة؛ ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد صرح بالإصابة حيث قيل: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ [سورة يونس:١٠٧] إظهارًا لكمال العناية بجانب الخير، كما ينبيء عنه ترك الاستثناء فيه، أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير، وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله وَجَلَّ: ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة يونس:١٠٧] فإن ذلك ينادي بعموم الفضل"(١).

قال ابن جماعة: " الضر إذا وقع لا يكشفه إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاستوى فيه الموضعان، وأمَّا الخير فقد يراد قبل نيله بزمن، إما من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم ينيله بعد ذلك، أو من غيره، فهي حالتان:

حالة: إرادته قبل نيله، وحالة: نيله، فذكر الحالتين في السورتين.

فآية الأنعام: حالة نيله، فعبر عنه بالمس المشعر بوجوده، ثم قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

(١) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي،). ٤: ١٨٠؛ والبيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". ٣: ١٢٦.

﴿شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [سورة الأنعام:١٧] أي: على ذلك، وعلى خيرات بعده، وفيه بشارة بنيل أمثاله.

وآية يونس: حالة إرادة الخير قبل نيله، فقال: ﴿يُرِدۡكَ﴾ [سورة يونس:١٠٧]، ثم قال: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [سورة يونس:١٠٧] أي: إذا أراده قبل نيله؛ ولذلك قال: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ [سورة يونس:١٠٧] ففي الآيتين بشارة له بإرادة الخير ونيله إياه، وأمثاله بالواو فيها"(١).

خلاصة:

جاء استعمال لفظ المس في هذين الموضعين بتقرير التوحيد، فكل خير وفضل منه ﷻ، وكل بلاء وشر بتقديره، وهو الحكيم الخبير.

وجيء بلفظ المس هنا، إشارة إلى مماسة الضر أو الخير للإنسان فكأنه يمسه، وبينت الآيات أن ذلك بأمر الله وقدرته، قال ﷻ في ختام الآية الأولى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [سورة الأنعام:١٧].

وبه يتبين حفظ الله لرسوله ﷺ من أن يمسه أدنى ضر إلا بإذنه ﷻ، وأنَّ إرادة الخير منه غالبة، إذ كرر لفظ المس مع الضر دون الخير، وذلك على الديمومة الأبدية، كما قال ﷻ: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [سورة يونس:١٠٧]، قال ابن عطية رحمه الله: "وحقيقة المس هي بتلاقي جسمين، فكأن الإنسان والضر يتماسان، «والضُّر: - بضم الضاد - سوء الحال في الجسم وغيره، «والضَّر: - بفتح الضاد - ضد النفع، وناب الضر في

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة. "كشف المعاني في المتشابه من المثاني". تحقيق: عبد الجواد خلف، (الطبعة: الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م). ١٥٨.

هذه الآية مناب الشر وإن كان الشر أعم منه فقابل الخير، وهذا من الفصاحة عدول عن قانون التكلف والصنعة، فإن باب التكلف وترصيع الكلام أن يكون الشيء مقترنًا بالذي يختص به بنوع من أنواع الاختصاص موافقة أو مضادة"(١).

المطلب الرَّابع: لفظ المس في سياق الرحمة بالمؤمنين

قال ﷻ: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأنفال:٦٨].

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النور:١٤].

في الموضع الأول: "كانت الغنائم محرمة على الأنبياء والأمم، فكانوا إذا أصابوا مغنمًا جعلوه للقربان، فكانت النار تنزل من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [سورة الأنفال:٦٨] يعني: لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم"(٢)؛ لأنَّ الأولى والأهيب في ذلك الوقت قتل أسارى بدر، فهم في مرحلة دفاع.

والموضع الثاني: جاء في سورة النور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النور:١٤] عتابًا للمؤمنين دون المنافقين لما وقع في أنفسهم عن أمِّنا عائشة ﵂ كما في حادثة الإفك المعروفة(٣).

---

(١) ابن عطية، "المحرر الوجيز". ٢: ٢٧٤.

(٢) الخازن، "لباب التأويل". ٢: ٣٢٨.

(٣) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن =

خلاصة:

في هذين الموضعين استُعمل أسلوب جميل لتعليل ذكر الحكم الناتج عن التصرف أو القول، فقدم ﷻ علة الوقوع؛ لكون رتبة العلة التقدم على المعلول، وسبق الكتاب من الله، وفضله ورحمته هي العلة في الإنجاء من العذاب العظيم(١).

وجيء بلفظ المس في الجواب؛ كناية عن شدة العذاب وعظمته وتمكنه بقرينة قوله ﷻ: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النور:١٤]، يُستحقر دونه كل عذاب، وفي لفظ المس معنى المعاجلة بوقوع العذاب لعظم الفعل أو القول؛ لكن برحمة الله وفضله وسبق كتابه صرفه عن عباده المؤمنين.

المبحث الرَّابع: لفظ المس في سياق الحديث عن الأنبياء والصالحين والمتقين والمستقيمين

المطلب الأوَّل: لفظ المس في سياق الحديث عن الأنبياء

قال ﷻ: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الحجر:٥٤].

=

وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، (ط١، ١٤٢٩هـ). ٨: ٥٠٤٥؛ والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن الكريم". ١٢: ٢٠٣.

(١) عبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع . "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن". تحقيق: حفني محمد شرف، (الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي). ٣٠٩.

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [سورة مريم:٤٥].

وقال ﷻ: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ٩٧﴾ [سورة طه:٩٧].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [سورة الأنبياء:٨٣].

وقال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ [سورة ص:٤١].

جاء لفظ المس في الموضع الأول: في سياق التعجب على لسان إبراهيم عليه السلام عندما بُشر بغلام عليم، قال ﷻ: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ٥٢ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٥٣ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ٥٤ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ٥٥﴾ [سورة الحجر:٥١-٥٥] أي: بعدما ما أصابه الكبر، وصار نوع من اليأس.

وجاء الموضع الثاني: من سورة مريم على لسان إبراهيم عليه السلام مستعطفًا والده متدرجًا في دعوته لأبيه، قائلًا: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [سورة مريم:٤٥]، قال السعدي رحمه الله: "وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: "يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل" أو "ليس عندك من العلم شيء"، وإنما أتى بصيغة تقتضي أنَّ عندي وعندك علمًا، وأنَّ الذي

وصل إليَّ لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها"(١).

وجاء الموضع الثالث: في ثنايا حديث موسى عليه السلام مع السامري، ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة طه:٩٧] في سياق إنكاره على ما فعله السامري، بمعنى: ما أمرك وما شأنك الذي دعاك إلى ما صنعت؟(٢).

فبعد إجابة السامري وبيان ما سولت له نفسه، قال له موسى عليه السلام: فاذهب من بيننا، فإن لك في الحياة أن تقول: لا مساس، أي لا أَمس ولا أُمس طول الحياة، عقوبة من الله سبحانه وتعالى(٣)، فسُلب الأنس الذي من طبع الإنسان، مما جعله يعيش وحيدًا فإذا لقيه أحد قال له: لا مساس، أي لا تمسني ولا أمسك، وقيل: يدخل فيه معنى الاقتراب منه، فالمس يطلق على الاقتراب(٤).

وجاء آخر موضعين: في بيان حال أيوب عليه السلام في سورة الأنبياء ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٣]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [سورة ص:٤١] خبرًا بما أصابه من البلاء، ودعائه لربه لكشف ما نزل به، وبيان

---

(١) السعدي، "تفسير السعدي". ٤٩٤.

(٢) ابن الجوزي، "زاد المسير". ٣: ١٧٣.

(٣) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". ١١: ٢٤٠.

(٤) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ١٦: ٢٩٨.

استجابة الله لدعائه، ومنته عليه في رفع البلاء(١)، "والمس: الإصابة الخفيفة، والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب عليه السلام في دعائه من الأدب مع الله عز وجل، إذ جعل ما حل به من الضر كالمس الخفيف ... وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٣] التعريض بطلب كشف الضر عنه بدون سؤال، فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمية تعريضًا بسؤاله"(٢).

خلاصة:

يلاحظ في سياق الحديث عن لفظ المس في هذه المواطن أنَّ غالبها على صيغة الماضي.

فالموضع الأول في سورة الحجر آية (٥٤): استعمل اللفظ في معنى الهرم والشيخوخة، بيانًا لحال إبراهيم عليه السلام، وأنه حل به الهرم والشيخوخة، فلسان حاله: انتهى وصوله وأصبح جزءًا مني، فبأي شيء تبشرون؟!، فإنَّ البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء(٣)، فهو متعجب من البشارة، كيف تكون بذلك؟!، فكانت الإجابة: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الحجر:٥٥].

والموضع الثاني في سياق استعطاف إبراهيم عليه السلام لوالده فبدأ كلامه بقوله:

---

(١) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي. "بحر العلوم". تحقيق، على محمد معوض وآخرون، (الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م). ٢: ٣٧٥.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ١٧: ١٢٧.

(٣) البيضاوي، "أنوار التنزيل". ٣: ٢١٣.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ [سورة مريم:٤٥] تأدبًا؛ إذ لم يصرح بأن العذاب واقع لا محالة، بل أخرجه مخرج الخائف، وذكر الخوف والمس ونكر العذاب(١)، إشارة إلى خوفه أن يمس والده أدنى إصابة من أي عذاب من الرحمن، لشفقته به، وذلك ظاهر من تصديره كل نصيحة بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [سورة مريم:٤٥]، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [سورة مريم:٤٦]، وأتى بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة ونكر العذاب، ورتب على مس العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان"(٢).

وفي الموضع الثالث على لسان موسى عليه السلام عندما قال للسّامري: ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ [سورة طه:٩٧] فجاءت على وزن فعال، وهو يشمل القرب والمس المباشر؛ عقوبة من الله إلى يوم القيامة، وفي ذلك عذاب شديد من الوحشة والوحدة، إذ لا يعيش المرء إلا مع بني جنسه.

وفيما يظهر – والعلم عند الله – أنَّ صرف اللفظ إلى وزن فعال دون مفاعلة؛ ليكون أوسع في المعنى، لاقتضاء المفاعلة المشاركة بخلاف فعال.

وجاء الموضعان الآخران في سياق الحديث عن أيوب عليه السلام بالإخبار عما أصابه عليه السلام أو بالإقرار بالعجز، وتارة باقتران المس بالضر وتارة بالشيطان، وجيء بصيغة الماضي؛ لتحقق وقوعه، وجيء بلفظ المس دون غيره تأدبًا مع ربه، على عظم ما ألم به من ابتلاء، وفقد أهل ومال، إلا أنه قال: مسني الضر، ولم يقل أصابني، إذ المس أدنى من الإصابة، وكأن ما أصابه عليه السلام مقارنة بما أنعم الله عليه لا يعد أن

(١) القاسمي، "محاسن التأويل". ٧: ١٠١.
(٢) أبو حيان، "البحر المحيط". ٧: ٢٦٩.

يكون إلا مسًّا.

المطلب الثاني: لفظ المس في سياق الحديث عن الصالحين

قال ﷻ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة آل عمران:٤٧].

وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة يوسف:٨٨].

وقال ﷻ: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة مريم:٢٠].

جاء الموضع الأول في سورة آل عمران، والموضع الثالث في سورة مريم في سياق الحديث عن مريم عليها السلام، وطهارتها وعفتها وبشريتها، بالتعجب مما خرج عن العادة، بأن يولد ولد بلا أب(١)، قال ابن عطية رحمه الله: "عن جهة حملها واستغراب للحمل على حال بكارتها، ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾ [سورة آل عمران:٤٧] معناه: يطأ ويجامع، والمسيس الجماع"(٢).

في حين جاء الموضع الثاني في سياق الاستعطاف، في سورة يوسف عليه السلام عند قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة

(١) السمعاني، "تفسير القرآن". ١: ٣٢٠.

(٢) ابن عطية، "المحرر الوجيز". ١: ٤٣٧.

يوسف:٨٨]، على لسان إخوة يوسف عليه السلام عندما مسهم الضر والشدة من الجدب، وجاؤوا بدراهم قليلة معدودة، استقلوا ثمنها، واستحقروا بضاعتهم؛ لهيبة يوسف عليه السلام، فتضرعوا إليه، وطلبوا منه الإتمام والوفرة بهذه الدراهم، والتصدق عليهم برد أخيهم إلى والديه، أو بالإيفاء، أو بالمسامحة، وختموا كلامهم بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة يوسف:٨٨](١).

خلاصة:

جاء لفظ المس في هذه المواطن في سياق الإنكار والتعجب والاستعطاف.

ففي الموضع الأول والثالث كان على سبيل الإنكار والتعجب من مريم عليها السلام عندما بشرها الملك بغلام؛ "ولذلك أجيب بجوابين: أحدهما: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ [سورة آل عمران:٤٧]، فهو لرفع إنكارها، والثاني: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ [سورة آل عمران:٤٧] ... إلخ؛ لرفع تعجبها"(٢).

وفي إيراد المعنى بالمس جانب تأدب في إيصال المعنى المناسب بلفظ رفيع دال على عدم وقوع أدنى المس بالحلال أو بالحرام، ودل على ذلك المعنى الموضع في سورة مريم عليها السلام عند قولها: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة مريم:٢٠].

وفي الموضع الثاني: جاء لفظ المس في الاستعطاف في معنى شدة الحاجة، إذ إخوة يوسف عليه السلام أصابتهم حاجة شديدة، وليس معهم ما يفي حاجتهم، فقالوا مستعطفين أخاهم: ﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ

(١) ينظر: القاسمي، "محاسن التأويل". ٦: ٢١٢.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٣: ٢٤٨.

عَلَيۡنَآۖ﴾ [سورة يوسف:٨٨]، وفي هذا إشارة لتمكن وقوع الضر بهم من جوع وحاجة، مما أرغمهم إلى استعطاف يوسف عليه السلام بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾ [سورة يوسف:٨٨]، فناسب وروده في الماضي لتحقق الوقوع وشدة الحاجة.

المطلب الثالث: لفظ المس في سياق الحديث عن المتقين والمستقيمين

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [سورة الأعراف:٢٠١].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [سورة هود:١١٣].

جاء الموضع الأول: مكملاً لما تميزت به سورة الأعراف من أسلوب التذكير بالنعم وأسلوب التخويف من العذاب والنقم، فالأول: تذكير بنعمة الخلق والإيجاد البشري في أحسن صورة وهيئة، وما يتبعه من تمتع بالنعم المحسوسة، كالتمكين في الأرض، والأكل من خيراتها.

والثاني: بما جاء في قصة آدم عليه السلام وأصحاب الأعراف، وقصص الأنبياء، وكان ذلك في غالب السورة، وما ورد فيها من ذكر لقصص بني إسرائيل، وما كان من شأن الأمم التي عاندت أنبياءها ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ [سورة الأعراف:١٠١]، فبينت الآيات أنَّ الأصل في ذلك سعي الشيطان لإغواء بني آدم الذي لا طريق له إلا بالوسوسة(١) وعلى ذلك جاء بيان القوة والمدد ضد العدو بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ

(١) ينظر: السعدي، "تفسير السعدي". ٣١٢.

﴿٢٠١﴾ [سورة الأعراف:٢٠١].

وجاء الموضع الثاني: محذرًا من الميل لو بأدنى صورة إلى من وجد منهم الظلم، وجيء بالجمع لزيادة معنى؛ وإن كان الظالمون جماعة؛ إذ ذلك مظنة الرخصة، فلا يجب الركون إليهم بأي حال من الأحوال(١)، ومن سلك ذلك المسلك فقد استوجب العذاب الشديد، ودل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة هود:١١٣].

خلاصة:

جاء لفظ المس في الموضع الأول: في تقرير أحوال المتقين عند إصابتهم بأدنى نزغ للشيطان الرجيم، استعاذوا بالله منه، ودلَّ على ذلك المعنى قوله ﷻ: ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [سورة الأعراف:٢٠١]، أي: أدنى لمه(٢)، وجيء بالفعل الماضي؛ لتحقق وقوعه، فوجب الاهتمام والحذر، وأكد ذلك بدء الآية بـ ﴿إِنَّ﴾؛ للإشارة بأنَّ ذلك الطيف واقع لا محالة للمتقين الذين هم أعلى درجة، فكيف بمن دونهم؟!، ومع كونه مس طيف إلا أن أثره كبير، فوجب اللجوء إلى الله، وطلب الاستعاذة به من ذلك المس.

وفي الموضع الثاني: جاء لفظ المس في سياق التهديد والتحذير من الركون للظالمين، ومن يفعل ذلك يصبه العذاب الشديد، ويمكن أن يقال هنا: أن أدنى مسٍ للعذاب؛ شديد، إذ لا عذاب يسير من جهنم - عياذًا بالله -.

---

(١) أبو السعود، "إرشاد العقل السليم". ٤: ٢٤٥.

(٢) المرجع السابق، ٣: ٣٠٨.

وجيء بصيغة المضارع؛ لإمكانية استمرارية وحدوث ذلك في المستقبل، فناسب فعل المضارعة معه.

المبحث الخامس: لفظ المس في سياق الحديث عن أهل الجنة

قال ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحجر:٤٨].

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فاطر:٣٥].

وقال ﷻ: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزمر:٦١].

في الموضع الأول: جاء سياق الآية ضمن الحديث عن نعيم أهل الجنة، وما أعده الله لهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحجر:٤٥-٤٨] أي: لا يمسهم فيها أي تعب، فـ "لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه؛ لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل أصلاً، أو بأن لا يعتريهم ذلك، وإن باشروا الحركات العنيفة؛ لكمال قوتهم، وهو استئناف، أو حال بعد حال، أو حال من الضمير في متقابلين،﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحجر:٤٨] أبد الآباد؛ لأن تمام النعمة بالخلود(١).

وفي الموضع الثاني: جاء سياق الآية بنفي التعب عن أهل الجنة بحديثهم عن

(١) المرجع السابق، ٥: ٨٠.

أنفسهم ونعيمهم في الجنة، فقال ﷻ مخبرًا عن حالهم بلسانهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فاطر:٣٤-٣٥]، "والنصب واللغوب: كل منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد ينفي هذا وهذا عنهم، أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم"(١).

وجاء الموضع الثالث: في سورة الزمر مبينًا حال ونتيجة من اتقى الله في جميع أموره، فلا يمسه سوء ولا حزن، وجاء ذلك بعد بيان حال المكذبين في قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الزمر:٦٠]، فعطف نجاة المتقين من جهنم مبينًا آلة النجاة، وهي خلو قلوبهم من الكبر المنافي للتقوى، ولزومهم للتقوى، وبين ﷻ أنَّ إنجاءهم كان بنفي مس السوء، ونفي الحزن؛ إذ الحزن أثر لمسِّ السوء، وجاءت الجملة الفعلية بالمضارع؛ لبيان مفهوم أن أهل النار في مس من السوء متجدد، مما يلزم معه حزن متجدد(٢).

خلاصة:

جاء لفظ المس في سياق الحديث عن أهل الجنة بفعل المضارعة، كناية عن استمرار هذا النعيم الأبدي، واستُعمل في سياق نفي مساس أهل الجنة السوء أو الحزن

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م). ٦: ٥٥٢.

(٢) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٢٤: ٥٣.

أو النصب أو اللغوب، واكتمل ذلك بالخلود في الجنة، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحجر:٤٨]، قال ابن عاشور: "والمس: الإصابة في ابتداء أمرها، والنصب: التعب من نحو شدة حر، وشدة برد، واللغوب: الإعياء من جراء عمل أو جري، وإعادة الفعل المنفي في قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فاطر: ٣٥] لتأكيد انتفاء المس"(١).

ويلحظ أنَّ القول تارة من الله ﷻ، وتارة من أصحاب الجنة، وذلك دلالة على تحقق الوقوع والرضا.

ويفهم من استمرار النعيم لأهل الجنة؛ تجدد العذاب لأهل النار عياذًا بالله.

المبحث السَّادس: لفظ المس في سياق الحديث عن مس الكتاب

قال ﷻ: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الواقعة:٧٩].

جاء لفظ المس في سياق بيان حكم مس الكتاب، واختلف في عود الضمير في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَمَسُّهُ﴾ [سورة الواقعة:٧٩]:

فمنهم من قال: عائد على الكتاب المكنون، وعلى ذلك قولان لأهل العلم، الأول: لا يمسه في السماء إلا الملائكة المطهرون.

والثاني: لا ينزله إلا الرسل من الملائكة إلى الرسل من الأنبياء.

ومنهم من قال: إنه عائد إلى المصحف – القرآن الكريم الذي بين أيدينا – وعلى ذلك يكون المعنى على عدة أقوال ذكرها أهل العلم، منها: لا يسمه بيده إلا المطهرون من الشرك، وقيل إلا المطهرون من الذنوب والخطايا، وقيل: لا يمسه إلا

(١) المرجع السابق، ٢٢: ٣١٧.

المطهرون من الأحداث والأنجاس، وقيل: لا يجد طعم نفعه إلا المطهرون، أي: المؤمنون بالقرآن الكريم، وقيل: لا يمس ثوابه إلا المؤمنون، وقيل: لا يلتمسه إلا المؤمنون(١).

الخلاصة:

يلاحظ أنَّ لفظ المس جاء هنا محتملاً لعدة معانٍ، تعود في أصلها لمعنيين؛ حسي ومعنوي، فيراد به تارة الحسي بمعنى المخالطة والمطالعة والنقل، ويراد به تارة المعنوي من طلب الثواب أو إيجاد النفع.

وبناء على عود الضمير يظهر الاستعمال القرآني للفظة على أمرين:

الأول: إذا أريد بالمطهرين الملائكة، يكون الاستعمال نفيًا أن يمسه غير المطهرين من الملائكة.

والثاني: إذا أريد به شمول أهل الدنيا، يكون الاستعمال نهيًا، وهو الحكم الشرعي في مس المصحف.

وجيء بالمضارعة كناية عن دوام طهارة مس المصحف.

المبحث السَّابع: لفظ المس في سياق الحديث عن أحكام المرأة

قال ﷻ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦ وَإِن

(١) ينظر لهذه الأقوال: علي بن محمد الماوردي. "النكت والعيون". تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية). ٥: ٤٦٤؛ والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن الكريم". ١٧: ٢٢٦.

طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣٦-٢٣٧].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤٩].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة المجادلة:٣-٤].

جاء الموضع الأول: في سورة البقرة، والموضع الثاني: في سورة الأحزاب في سياق بيان تنظيم الأسرة التي هي نواة المجتمع، المبنية على صلاح الزوجين، وبيّن سابق الآية ولاحقها ما يتعلق بالجوانب الدقيقة بينهما، كالإيلاء والعدة، والنفقة والرضاع والتعريض بالخطبة، وكذلك الأحكام المتعلقة والمترتبة على الطلاق، وبالأخص ما يكون في جانب المهر، وحقوق الزوجين في ذلك، وبذلك جاءت الآيتان(١).

وجاء الموضع الثالث: في سورة المجادلة متعلق كذلك بنظام الأسرة، فسبب نزول السورة سبب صريح في قصة خولة بنت ثعلبة ﵂، عندما أرادها زوجها

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٢: ٤٥٧.

بعدما ظاهر منها(١)، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "وتلك هي قضية سبب النزول؛ لأنَّ المرأة ما جاءت مجادلة إلا لأنها علمت أن زوجها المظاهر منها لم يرد فراقها"(٢).

خلاصة:

يلاحظ من مواضع سياق لفظ المس في الحديث عن أحكام المرأة، أنه جاء بمعنى الوطء، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد، لأنه في معنى الوطي، وهو من آداب القرآن، الكناية عنه بلفظ: الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان"(٣).

فجيء بلفظ المس تأدبًا، "قال أبو مسلم: وإنما كنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٧] عن المجامعة، تأديبًا للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به"(٤)، وقرئ: ﴿تماسوهن﴾ من المفاعلة بين اثنين(٥).

وجيء بلفظ المضارعة؛ لإظهار صورة الاجتماع بين الزوجين؛ إذ الحاجة للطرفين مستمرة، وجيء بلفظ: "المس" على معنى الجماع؛ لشموله مقدمات الجماع من ملامسة ومماسة ونحو ذلك.

---

(١) السمرقندي، "بحر العلوم". ٣: ٤١٢؛ ومحمد بن عبد الله، ابن أبي زَمَنِين. "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: محمد بن مصطفى الكنز وآخرون، (الطبعة: الأولى، مصر، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م). ٤: ٣٥٧.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٢٨: ١٧.

(٣) القرطبي، "أحكام القرآن". ١٤: ٢٠٣.

(٤) القاسمي، "محاسن التأويل". ٢: ١٦١.

(٥) السمرقندي، "بحر العلوم". ١: ١٥٥.

المبحث الثامن: لفظ المس في سياق بيان حال الإنسان وطبيعته

قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة يونس:١٢].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة يونس:٢١].

قال ﷻ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة هود:١٠].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة النحل:٥٣].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٦٧].

وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨٣].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الروم:٣٣].

وقال ﷻ: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزمر:٨].

وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ

عِلۡمٍۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الزمر:٤٩].

وقال ﷻ: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة فصلت:٤٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة فصلت:٥٠].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾﴾ [سورة فصلت:٥١].

وقال ﷻ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة المعارج:٢٠-٢١].

جاء لفظ المس في سياق بيان حال الإنسان وطبيعته، مبينًا أنَّ الناس في حال مس الضر من مرض أو فقر أو ابتلاء ونحوه على صنفين: منهم يلح بالدعاء والتضرع إلى الله في جميع أحواله، ومنهم من يكون قانطًا متضجرًا.

وغالب السياقات جاءت بوصف الجنس باعتبار بعض أفراده ممن كانت هذه حالهم، مع التعريض في سباق الآيات أو لاحقها بالمشركين والكافرين، قال الشوكاني في الفتح: "قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [سورة يونس:١٢]، المراد بالإنسان هنا: الجنس باعتبار بعض أفراده أو غالبها، وقيل المراد به الكفار فقط والأول أولى، ولا يمنع من حمله على الجنس خصوص سببه؛ لأنَّ الاعتبار: بعموم اللفظ وفاء بحق النظم القرآني، ووفاء بمدلوله، والمعنى: أنَّ شأن غالب نوع الإنسان أنه إذا مسه ضر من مرض، أو فقر، أو غيرهما؛ دعا الله، وتضرع إليه في رفعه ودفعه، ثم إذا خولناه نعمة منا، أي:

أعطيناه نعمة كائنة من عندنا قال: إنما أوتيته على علم مني بوجوه المكاسب، أو على خير عندي، أو على علم من الله بفضلي"(١)، وقال ابن عاشور: "والتعريف في الإنسان تعريف الجنس، وهو يفيد الاستغراق وهو استغراق عرفي، أي أكثر أفراد الإنسان؛ لأنَّ أكثر الناس يومئذ كفار وأكثر العرب مشركون، فالمعنى: إذا أنعمنا على المشركين أعرضوا وإذا مسهم الشر يئسوا، وهذا مقابل حال أهل الإيمان الذين كان القرآن شفاء لأنفسهم، وشكر النعمة من شيمهم والصبر على الضر من خلقهم"(٢).

والسبب في ذلك حب الدنيا وإيثارها على الأخرى، وكفران النعم بالإعراض عن شكرها(٣).

خلاصة:

يعتبر هذا السياق من أكثر سياقات لفظ المس، إذ جاء في بيان حال الإنسان وطبيعته عند مس الشر أو الخير في النعماء أو الضراء.

وجاءت ألفاظ المس بصيغة الماضي؛ لتحقق وقوع ردة الفعل وفق ما قررته الآيات، وبيان أن للجبلة الإنسانية دور كبير في معتقد الإنسان وما ينجم عنه من تصرفات، وجاء سياق بعض الآيات باستثناء من وفقهم الله لطاعته ومتابعة أمره.

وجيء بلفظ المس دون غيره، كناية عن وصف الإنسان أنه إذا أصابه أدنى

---

(١) الشوكاني، "فتح القدير". ٤: ٥٣٧.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ١٥: ١٩١.

(٣) ينظر: أبو السعود، "إرشاد العقل السليم". ٧: ٢٥٨؛ ومحمد بن عمر بن الحسن الرازي. "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ). ٢٦: ٤٢٧؛ والبقاعي، "نظم الدرر". ١١: ٤٧٢؛ والقاسمي، "محاسن التأويل". ٦: ٤٩٩.

سوء من فقر أو مرض تسخط معترضًا، أو يكون من الصنف الآخر راجعًا إلى ربه؛ لإدراكه عدم تمكنه من صرف أدنى السوء عنه إلا بخالقه.

المبحث التاسع: لفظ المس في سياق الحديث عن المعاندين

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٨٠].

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ٢٤].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٤٩].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الأعراف: ٩٥].

وقال ﷻ: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة هود: ٤٨].

وقال ﷻ: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٤٦].

وقال ﷻ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يس: ١٨].

وقال ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ٧٣].

وقال ﷻ: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة هود:٦٤].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة الشعراء:١٥٦].

وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة القمر:٤٨].

جاء لفظ المس في سياق الحديث عن المعاندين على ضربين:

الأول: تهديد من الله ﷻ ووعيد بقوله ﷻ أو على لسان رسله، كما ورد في سورة الأنعام آية٤٩، وهود آية ٤٨، والأنبياء آية٤٦، والقمر ٤٨، إذ كان سياق الآيات في وعيد الله ﷻ لمن أعرض عن ذكره وحارب رسله الكرام، وورد في سورة الأعراف آية ٧٣، وسورة هود آية ٦٤، وسورة الشعراء آية ١٥٦ لفظ المس على لسان نبي الله صالح عليه السلام تهديدًا ووعيدًا لقومه أن يمسوا الناقة بسوء فيأخذهم عذاب قريب عظيم(١).

الثاني: على لسان المعاندين بدءًا باليهود من ادعائهم أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودات كما ورد في سورة البقرة آية ٨٠، وسورة آل عمران آية ٢٤، والمشركين في سورة الأعراف آية ٩٥، معللين بادعائهم أنَّ ما أصابهم من بأساء وضراء ما هو إلا سنة الدهر، ليس لأجل ما هم عليه من كفر وعصيان، وذلك لعدم انتفاعهم من

(١) ينظر: السمرقندي، "بحر العلوم". ٢: ١٥٤؛ وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم". ٣: ١٣٦؛ والسعدي، "تفسير السعدي". ٨٢٧،٣٨٢،٢٧٥.

نعم الله في الرخاء بعد الشدة، وبينت الآيات ما كان من أصحاب القرية في سورة يس آية ١٨ عندما غلبتهم حجة الرسل عمدوا إلى المكابرة والمكر بالرسل الكرام، وبادروا إلى المعاجلة بقولهم: لئن لم تنهوا لنقتلكم رجمًا بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم(١).

خلاصة:

تنوعت أساليب استعمال لفظ المس في سياق الحديث عن المعاندين على النحو التالي:

١-بالنفي؛ وذلك على لسان المعاندين من ادعائهم بعدم مس النار لهم إلا أيامًا معدودات، وفي طي ذلك معنى استخفافهم بشدة العذاب - عياذًا بالله -، فعدلوا إلى لفظ المس.

٢-بالتقرير؛ وذلك أيضًا على لسان المعاندين وأن ما أصابهم من شدة بعد رخاء ما هو إلا عادة من عادات الدهر كما مس آباءهم من قبل، وفي قولهم: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [سورة الأعراف:٩٥] إشارة إلى الاستهانة بالأمر، وأنه مس يسير ما يلبث إلا وينتهي ويعقبه السراء.

٣-بالتهديد؛ وذلك في سياق كلام الله ﷻ عند إنجائه لنوح عليه السلام ومن معه، وإخباره بأنَّ هذا الإنجاء ليس بمانع من مساس العذاب بمن بعدهم ممن كفر واستحق

(١) ينظر: ابن أبي زمنين، "تفسير ابن أبي زمنين". ١: ٢٨٢، ١٥٤؛ وابن عطية، "المحرر الوجيز". ٢: ٤٣١، ٤: ٤٤٩.

العقاب، وإن مُتِّعوا قليلاً[(١)]، وكذلك في تهديد الله ﷻ لمن استحق العذاب بأنهم لو مستهم أدنى نفحة، ونزر قليل جدًا من العذاب ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين، كناية عن شدة ما سيذوقونه من العذاب الأليم، وجيء بلفظ المس والنفح كناية عن المبالغة في التقليل، ولا قليل لمن دفعه قلة العذاب أن يقر باستحقاقه التام للعذاب وتعجبه من سوء حاله[(٢)].

وفي سورة القمر آية ٤٨، خبر سيق مساق التهديد، واستعير الإحساس في الذوق[(٣)]، واقترن المس بالسحب على الوجه وهو ذا حساسية عالية من أن يمسه شيء فيؤثر عليه ظاهرًا وألما، سيما أن الوجه محل الشرف من أن يُمس بشيء من الإهانة، وفي ذلك تهديد وتبشيع للحال في ذلك المستقر – عياذًا بالله –.

٤–بالنهي؛ على لسان صالح عليه السلام في نهيه لقومه أن يمسوا الناقة بسوء، ومعنى المس هنا أدنى المس، وهو مقدمة الإصابة بالسوء الجامعة لأنواع الأذى مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر[(٤)]، وناسب لفظ المس هنا؛ لأن سلامة الناقة سلامة لهم من عذاب الاستئصال، فوجب الإتيان بلفظ المس ليشمل معنى التحذير من أدنى إصابة لها[(٥)].

---

(١) السعدي، "تفسير السعدي". ٣٨٣.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ١٧: ٨٠.

(٣) القاسمي، "محاسن التأويل". ٩: ٩٦.

(٤) البيضاوي، "أنوار التنزيل". ٣: ٢٠.

(٥) ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٨: ٢١٩.

المبحث العاشر: لفظ المس في سياق الحديث عن آكل الربا

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [سورة البقرة:٢٧٥].

جاء السياق مبينا حال آكل الربا يوم القيامة، ومؤذنًا بوضع علامة تدل على فاعله له، وهي اختلال استقامته، فكلما قاموا سقطوا، والناس يمشون عليهم(١)، فهذه الحال حال من مسه الشيطان بخبل أو جنون، فيقال: به خبطة من جنون، فكأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه، وعلى ذلك سمي الجنون مسًّا، كما أن الشيطان يتخبطه ويطؤه برجله فيخبله، فسمي الجنون خبطة، فالتخبط بالرجل، والمس باليد(٢).

وذلك لعظم إثم أكل الربا والتعامل به، وهذا متوافق مع لاحق الآية؛ إذ يقول ﷻ مبينا محق البركة والخير فيه: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ [سورة البقرة:٢٧٦]، وقال ﷻ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [سورة البقرة:٢٧٩].

خلاصة:

يلحظ أنَّ لفظ المس جاء اسمًا في هذا الموضع، وهو خبر سيق مساق التهديد،

---

(١) السمرقندي، "بحر العلوم". ١: ٢٦٣.

(٢) الواحدي، "البسيط". ٤: ٤٦٣.

وشبه حال آكل الربا بمن يتخبطه الشيطان من المس، والمس يشتمل على الجنون والصرع والتخبط، وهذا مُبِينٌ عن سوء حال آكل الربا حال من تخبطه الشيطان من المس، ولم يصبح لديه قدرة على رده، فالصورة التخيلية تبعث على الخوف، وهذا هو حال المشغوف بجمع المال من غير حله، فيتخبط لأجل الربا كأنهم سكارى، ومناسبة اللفظ على حال القيام سواء كان في الآخرة أم في الدنيا.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا، فله الفضل والمنة على ما كان من نعمة، من تيسير أمر هذا البحث الذي خلص للنتائج التالية:

١-سعة معاني لفظ المس في اللغة العربية، وقد شملت السياقات القرآنية بعضًا منها.

٢-جاء استعمال لفظ المس في القرآن الكريم على عدة أوجه هي:

أ-التهديد والوعيد.

ب-ضرب المثل.

ج-التعجب والإنكار.

د-الاستعطاف.

هـ-التقرير.

و-الإخبار.

ز-النفي.

ح-النهي.

٣-اقترن لفظ المس في القرآن الكريم بعدة معان منها:

أ-شدة الإصابة.

ب-أدنى اللمس.

ج-الملامسة.

د-الجماع.

هـ-الشيخوخة والهرم.

و-العذاب الدنيوي.

ز-العذاب الأخروي.

ح-النعيم الأبدي.

ط-النعيم الزائل.

٤-غالب سياق لفظ المس جاء في الخير والشر، والضراء والسراء، وبيان طبيعة الإنسان.

٥-إرادة مس الخير في السياقات القرآنية غالبة على إيصال مس الضر، ومس الضر إنما يكون لدواعٍ ودوافع معينة، لا بالقصد الأولي.

٦-لطلب مس السراء أو دفع مس الضراء لا يكون في سائر الأحوال إلا بالله، ومن أهم العوامل في ذلك الدعاء، كما جاء في السياقات القرآنية.

٧-أنَّ مس الضراء والسراء من السنن الإلهية التي جرت وتجري على الأمم.

٨-أنَّ السلامة من مس الشر أو الضر لا تكون إلا في الجنة، فلا يمسهم نصب ولا هم ولا غم.

٩-أنَّ المس بالضراء والسراء يصيب الناس بمختلف أعمارهم وأحوالهم، حتى وإن كانوا من أبناء الأنبياء وأقاربهم، بل حتى الرسل أنفسهم لا يملكون من ذلك شيئا.

١٠-التمايز بين البشر في حال مس الضراء والسراء، أو الخير والشر، كل بحسبه، ودوام الحال من المحال، ولا مخرج إلا بالصبر على ما قدر الله من خير أو شر.

١١-لفظ المس في سياق أحكام المرأة لا يكون إلا بمعنى الوطء.

١٢-أهمية استخدام الألفاظ التي تدل على روح الأدب، وجمال الخلق، كقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٣]، وكقول: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ [سورة آل عمران:٤٧]، وكقول: ﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ﴾ [سورة مريم:٤٥]، وغير ذلك من الألفاظ التربوية الإيمانية.

فهرس المصادر والمراجع

١- ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المري. "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: محمد بن مصطفى الكنز وآخرون، (الطبعة: الأولى، مصر، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ).

٢- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي الجوزي. "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، - ١٤٢٢هـ).

٣- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. "تفسير القرآن الكريم". المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية، (الطبعة: الأولى، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠هـ).

٤- ابن جماعة، محمد بن إبراهيم. "كشف المعاني في المتشابه من المثاني". تحقيق: عبد الجواد خلف، (الطبعة: الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٥- ابن دقيق العيد، محمد بن علي. "إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام". تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (مطبعة السنة، ١٣٧٢ – ١٩٥٣م).

٦- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الطاهر. "التحرير والتنوير". (الدار التونسية للنشر،تونس، ١٩٨٤هـ).

٧- ابن عطية: عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ، ١٤٢٢هـ).

٨- ابن فارس: أحمد بن فارس. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٩- ابن كثير: إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

١٠- ابن منظور: محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

١١- أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

١٢- أبو حيان: محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

١٣- الأزهري: محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

١٤- البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).

١٥- البيضاوي، عبد الله بن عمر. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

١٦- الخازن، علاء الدين علي بن محمد. "لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح محمد علي شاهين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

١٧- الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

١٨- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (الطبعة الأول، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

١٩- ردة الله بن ردة الطلحي. "دلالة السياق". رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى،كلية اللغة العربية، (١٤١٨هـ).

٢٠- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م).

٢١- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد. "بحر العلوم". تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، (الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ،١٩٩٣م).

٢٢- السمعاني، منصور بن محمد. "تفسير القرآن". تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (الطبعة: الأولى، الرياض- السعودية: دار الوطن، ١٤١٨هـ).

٢٣- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم).

٢٤- عبد الله بن عبد الجبار محمد، "أثر الدلالة المعجمية للفظتي "لمس" و "مس" في توجيه المعنى بين اللغويين والأصوليين: دراسة نظرية تطبيقية". مجلة القلم،١٧، (٢٠٢٠م).

٢٥- العدواني، عبد العظيم بن الواحد. "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن". تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٢٦- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة، مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع).

٢٧- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "العين". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١،

بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م).

٢٨- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد. "محاسن التأويل". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٢٩- القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن الكريم". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ،١٩٦٤م).

٣٠- القرطبي، مكي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

٣١- الماوردي، علي بن محمد. "النكت والعيون". تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية).

٣٢- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد. "غرائب القرآن ورغائب الفرقان". تحقيق: زكريا عميرات، (الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤١٦هـ).

٣٣- الواحدي، علي بن أحمد. "التفسير البسيط". جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، (١٤٣٠هـ).

bibliography

1- Ibn Abi Zamanin: Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Isa bin Muhammad al-Marri,(399AH), Tafsir alquran Al-'Azeez, Investigation: Muhammad bin Mustafa Al-Kinz and others, Al-Farouk Al-Haditha-Egypt, Cairo, Edition: First, 1423AH.
2- Ibn al-Jawzi: Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi (597AH),zad almasir fi eilm altafsir, Investigation: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Dar Al-Kitab Al-Arabi-Beirut, Edition: First-1422AH.
3- Ibn al-Qayyim: Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyyah (751AH),tafsir alquran alkarim, The investigator: The Office of Arab Studies and Research, Dar and Al-Hilal Library-Beirut, Edition: First-1410AH
4- Ibn Jama'a, Muhammad bin Ibrahim bin Saad Allah bin Jama'a (733AH),kashf almaeani fi almutashabih min almathani, nvestigation: Abd al-Jawad Khalaf, Dar al-Wafaa, Mansoura, first edition, 1410AH/1990AD.
5- Ibn Daqeeq Al-Eid Abu Al-Fath Muhammad bin Ali bin Wahb Al-Qushayri,'iihkam al'ahkam sharh eumdat al'ahkami", Investigation: Ahmed Shaker and others, Sunna Press, 1372-1953
6- Ibn Ashour, Mohamed Taher bin Mohammed Taher bin Ashour, Tunisia (1393H), Tahrir W El Tanweer, Tunisia Publishing House, Tunisia, 1984H.
7- Ibn Attiyah, Abu Mohammed Abdul Haq bin Ghalib bin Abdulrahman bin Tamam bin Attiyah Al-Andalsi Al-Maharabi (542H), Al-Wajiz Editor, Investigation: Abdulsalam Abdul Shafi Mohammed, Dar al Kootb El Aalemya , Beirut , edition,1422H.
8- Ibn Faris: Ahmad bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, (395AH) ,muejam maqayis allughati, nvestigation: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1399AH-1979AD
9- Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Basri, (774H), Interpretation of the holy Quran, Investigation: Sami bin Mohammed Salama, Taiba Publishing and Distribution House, 2E, 1420AH, 1999AD.
10- Ibn Manzoor, Mohammed bin Makram bin Ali, Abu Fazal, Jamal al-Din Ibn Ansari al-Rufaqi EL Afreekey (711H), Lassan al-Arab, Dar Sadr, Beirut, 2 E, 1414H.
11- Abu Saud, Abu Saud al-Emadi Mohammed bin Mohammed bin Mustafa (982H), Guiding the Sound Mind to the Benefits of the Holy Book, Dar Ehyaa EL Toras El Arabi , Beirut.
12- Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi (745AH), Al-Bahr Al-Muheet fi Al-

Tafseer, investigation: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr-Beirut, 1420AH.

13- Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (370AH),tahdhib allughati, Investigation: Muhammad Awad Merheb, Dar Revival of Arab Heritage-Beirut, 1st edition, 2001AD

14- Al-Biqai, Ibrahim bin Omar bin Abi Bakr,nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr,dar alkutaab al'iislami,alqahrati.

15- albidawi,nasir aldiyn 'abu saeid baed allh bin eumar bin muhamad alshiyrazii albaydawi (685hi)'anwar altanzil wa'asrar altaawili,tahqiqa: muhamad eabd alrahman almireishli,dar 'iihya' alturath alearbi,birut,ta1,1418h.

16- Al-Bayzawi, Nasir EL din Abu Saeed Baad Allah bin Omar bin Mohammed al-Shirazi al-Bayzawi (685H). Anour El tanzel we Asrar EL takweel .investgation :Mohamed Abd El Rahman EL Maraashly , Dar Ehyae EL toras El arabi .beirut,1E,1418H

17- Al-Khazen, Aladdin Ali bin Muhammad bin Ibrahim Abu al-Hassan, known as Al-Khazen (741H), for interpretation in the meanings of downloading holy uran wards, correction by Muhammad Ali Shaheen, Dar al-Ketab,Beirut,1E,1415H.

18- Al-Razi: Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir al-Hanafi al-Razi (666AH), Mukhtar al-Sihah, investigation: Yusuf al-Sheikh Muhammad, Al-Asriyyah Library-The Model House, Beirut-Sidon, Edition: Fifth, 1420AH/1999AD.

19- Al-Raghib Al-Isfahani: Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani (502AH),almufradat fi gharayb alquran, investigation: Safwan Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya-Damascus, Beirut, first edition, 1412AH.

20- Radat Allah Bn Radat Altalhia,dilalat alsiyaqi,rsalat dukturah,jamieat 'am alquraa,kaliat allughat alearabiat 1418hi.

21- Al-Saadi, Abd El Rahman bin Nasser bin Abdullah Al-Saadi: (1376H) Taseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of Kalam Al-Mannan, investigation : Abdulrahman bin Maalla Al-Luhak, Al-Resala Foundation, 1E, 1420H.

22- AlSamarkandi, Nasr bin Muhammad bin Ahmed, "Bahr al-Ulum". Investigation: Ali Muhammad Moawad and others, (1st edition, Beirut: Scientific Books House, 1413AH.

23- Al-Samani, Mansour bin Mohammed, "Tafseer ALQur'an" Investigation: Yasser bin Ibrahim and others, (1st edition, Riyadh: Dar Al-Watan, 1418AH, 1997AD)

24- Eabdallah Bin Eabdialjabaar Muhamad,"'athar aldalalat almuejamiat lilfzatii "lmis" w "ms" fi tawjih almaenaa bayn allughawiiyn wal'usuliiyna: dirasat nazariat tatbiqiatun". majalat alqilam,17,"2020m

25- Al-Adwani, Abdul-Azim bin Al-Wahid bin Dhafer bin Abi Al-Asbaa Al-Adwani, Al-Baghdadi and then Al-Masry (654AH),tahrir altahbir

fi sinaeat alshier walnathr wabayan 'iiejaz alqurani, nvestigation: Hafni Muhammad Sharaf, United Arab Republic-Supreme Council for Islamic Affairs-Committee for the Revival of Islamic Heritage

26- Al-Askari, Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl bin Saeed bin Yahya bin Mahran Al-Askari (395AH),alfuruq allughawiatu, Investigation: Mohamed Ibrahim Selim, Dar Al-Ilm and Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Cairo-Egypt

27- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (170AH),aleayni, nvestigation: Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1424AH.

28- Al-Qasimi, Mohammed Jamal Alddin bin Mohammed Said Al-Khalak Al-Qasimi (1332H) Mahasen El Takwel : investigation :Mohamed basel Aayon El Sood ,Dar El ketab, Beirut,1E ,1418H.

29- Al-Kartabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abu Bakr Shams al-Din al-Kartabi (671H), Al Gamaa l Ahkam El Quran , investigated: Ahmed al-Bardouni and Ibrahim Atvish, Dar El Koteb EL Masrya, Cairo, 2E, 1384h.

30- Al-Kartabi Abu Mohammed Makki bin Abi Talab Hamush bin Muhammad al-Qaysi al-Ela Balogh El Nehya in the knowledge of the meaning of the Quran and its interpretation, its provisions, and sentences of the art of his science: investigation, university thesis at at the faculty of post graduation studies and scientific research, Publisher: Research`s Group Sunna and holy Quran, Faculty of Sharia and Islamic Studies, University of Sharjah, 1E,1429H,

31- Al-Mawardi, Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi, known as Al-Mawardi (450AH),alnkt waleuyuna, Investigation: Mr. Ibn Abd al-Maqsud Ibn Abd al-Rahim, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah-Beirut/Lebanon

32- Al-Nisaburi, Nizam al-Din al-Hasan bin Muhammad bin Hussein al-Qummi al-Nisaburi (850AH)gharayib alquran waraghayib alfirqan, nvestigation: Zakaria Amirat, Dar Al-Kutub Al-Alamiyya-Beirut, Edition: First-1416 A.H

33- Al-Wahidi Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Wahidi, Al-Nisaburi, Al-Shafi'i (468AH), altafsir albasiti, investigation: PhD thesis at Imam Muhammad bin Saud University, Deanship of Scientific Research-Imam Muhammad bin University Saud Islamic, the first, 1430AH.

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF EDUCATION
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Islamic University Journal of Islamic legal Sciences

Refereed periodical scientific journal

Lssue (**206**) Volume (**1**) Year (**57**) Sepmtember **2023**